بين القاهرة واستنبول

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٥ —

متاحف طوب قبوسراى

يا أخى صاحب الرسالة

سلام عليك

وقفت بك فى الرسالة السابقة على عرش الشـاه إسماعيل الصفدى . وجدير أن نطيل الوقوف عند هذا العرش الذى بذلت الصناعة وسعها فى هندسته وتذهيبه وترصيعه وتلوينه ، ولاءمت فيه يد الإتقان بين الذهب والمينا والزمرد والياقوت ، وألفت بين ألوانها تأليفاً متآلفاً مرضياً ، وقد أرى فيه الذكر تتلألأ تلألؤ الجوهر

عرش إسماعيل فى وقاية من زجاج ويرى فى وسطها

وقفت عند هذا العرش أذكر الشاه إسماعيل هذا الملك الجبار الذى نشأ فى زلازل الحادثات حتى ملك أزمة دولة مبتدأة وهو لم يبلغ الحلم ؛ وما لبث أن مد سلطانه ما بين العراق إلى الهند ، ثم أورث أبناءه دولة لا تزال آثارها شاهدة بمآثرهم ، ناطقة بعظمة ملكهم ، مذكرة بما طوى الدهر من سلطانهم

هذا العرش ما خطبه ، ما باله وخزائن سلاطين آل عثمان ؟ هنالك ذكرت جلاد سليم وإسماعيل ، وذكرت موقعة جالدران الموقعة التى كادت تذهب بدولة إسماعيل الناشئة ؛ لولا أن عاقت سليماً العوائق . وجالدران وأرمديد وشمالى أزربيجان اصطفت فيه جنود سليم وجنود إسماعيل سنة ٩٢٥ من الهجرة . قسم سليم جنوده ، وجعل الانكشارية فى القلب واتخذ مكانه خلفهم ، وجعل المدافع وراء الجناحين وشد بعضها إلى بعض بالسلاسل . وصف إسماعيل جنوده ، وتولى قيادة الجناح الأيمن مائة وخمسون ألف جندى صمدت لمثلها ؛ فانظر هذه الحرب المتأججة يضرمها ثلاثمائة ألف !

ويحمل إسماعيل الفتى الشجاع ، معتزاً بجنده ، مفتخراً بنسبه العلوىّ ، مصمماً أن ينتصر أو يقتـل ، ويشق جناح العثمانيين الأيسر ويحسب أن النصر مقبل عليه

وتظاهر جناح العثمانيين الأيمن بالهزيمة وانقسم ، فتحمل ميسرة اسماعيل وترمى بنفسها فى الفرجة بين القسمين فإذا هى أمام المدافع ، وإذا النيران تأخذها من كل جانب . لاتتبدل الحال ويواتى العثمانيين الظفر

ويسقط اسماعيل عن جواده جريحاً وينجيه من الأسر القريب الفرار إلى تبريز

وبادر سليم يجمع الغنائم ، ويزهى بمـا نال من ظفر على عدوه الجبار

وسليم يدخل تبريز بعد ثلاثة عشر يوماً دون حرب ، وكانت تبريز يومئذ دار الملك وبها خزانة اسماعيل قد جمع فيها ما أخذ من التيموريين وغيرهم من الأمراء الذين غلبوا على ممالـكهم . وبينما يدبر للاستيلاء على ملك اسماعيل كله يرى بين جنوده أمارات العصيان فيرجع أدراجه قانعاً بما أحرز من نصر وما ملك من بلاده . ثم لم يقم فى تبريز إلا ثمانية عشر يوماً

هذا العرش مما غنم سليم فى هذه الحرب الضروس

وذكرت حينئذ الرجل الـكبير قانصوه الغورى الذى خشى صولة سليم قبل الشاه اسماعيل فأفسد ما بينه وبين العثمانيين